

التحرير والتنوير

ولما كان أمر الطلاق غير حال من حرج وغم يعرض للزوجين وأمر المراجعة لا يخلو في بعض أحواله من تحمل أحدهما لبعض الكره من الأحوال التي سببت الطلاق أعلمهما [] بأنه وعد المتقين الواقفين عند حدوده أن يجعل لهم مخرجا من الضائقات شبه ما هم فيه من الحرج بالمكان المغلق على الحال فيه وشبه ما يمنحهم [] به من اللطف وإجراء الأمور على ما يلائم أحوالهم يجعل منفذ في المكان المغلق يتخلص منه المتضائق فيه .

ففي الكلام استعارة أن إحداها ضمنية مطوية والأخرى صريحة وشمل المخرج ما يحف من اللطف بالمتقين في الآخرة أيضا بتخليصهم من أهوال الحساب والانتظار فالمخرج لهم في الآخرة هو الإسراع بهم إلى النعيم .

ولما كان من دواعي الفراق والخلاف بين الزوجين ما هو من التقدير في الإنفاق لضيق ذات اليد فكان الإحجام عن المراجعة عارضا كثيرا للناس بعد التطلاق أتبع الوعد بجعل المخرج للمتقين بالوعد بمخرج خاص وهو مخرج التوسعة في الرزق .

وقوله (من حيث لا يحتسب) احتراسا لئلا يتوهم أحد أن طرق الرزق معطلة عليه فيستبعد ذلك فيمسك عن مراجعة المطلقة لأنه لا يستقبل مالا ينفق منه فأعلمه [] أن هذا الرزق لطف من [] و [] أعلم كيف يهئ له أسبابا غير مترقبة .

فمعنى من حيث لا يحتسب : من مكان لا يحتسب منه الرزق أي لا يظن أنه يرزق منه .
و (حيث) مستعملة مجازا في الأحوال والوجوه تشبيها للأحوال بالجهات لأنها لما جعلت مقارنة للرزق أشبهت المكان الذي يرد منه الوارد ولذلك كانت (من) هنا للابتداء المجازي تبعا لاستعارة حيث . ففي حرف (من) استعارة تبعية . وذكر الواحدي في أسباب النزول أنها نزلت في شأن عوف بن مالك الأشجعي إذ أسر المشركون ابنه سالما فأتى عوف النبي A وشكا إليه ذلك وأن أمه جرعت فقال له رسول الله A : " اتق الله واصبر " وأمره وزوجته أن يكثرأ قولا لا حول ولا قوة إلا بالله فغفل المشركون عن الابن فساق عنزا كثيرة من عنز المشركين وجاء بها المدينة فنزلت الآية فيجوز أن يكون نزولها في أثناء نزول هذه السورة فصادفت الغرضين ويكون ذلك من قبيل معجزات القرآن .

(ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره) تكملة للتي قبلها فإن تقوى الله سبب تفريح الكرب والخلص من المضائق وملاحظة المسلم ذلك ويقينه بأن الله يدفع عنه ما يخطر بباله من الخواطر الشيطانية التي تثبطه عن التقوى ويحقق وعد الله إياه بأن يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب .

وحسب : وصف بمعنى كاف . وأصله اسم مصدر أو مصدر .

وجملة (إن ا بالغ أمره) في موضع العلة لجملة (ومن يتوكل على ا فهو حسبه) أي لا تستبعدوا وقوع ما وعدكم ا حين ترون أسباب ذلك مفقودة فإن ا إذا وعد وعدا فقد أرادته وإذا أراد ا أمرا يسر أسبابه .

ولعل قوله (قد جعل ا لكل شيء قدرا) إشارة إلى هذا المعنى أي علم ا أن يكفي من يتوكل عليه مهمة فقدر لذلك أسبابه كما قدر أسباب الأشياء كلها فلا تشكوا في إنجاز وعده فإنه إذا أراد أمرا يسر أسبابه من حيث لا يحتسب الناس وتصاريف ا تعالى خفية عجيبة . المراد على الحصول في مشهور مجاز والبلوغ . مراده إلى واصل : (أمره بالغ) ومعنى A E . والأمر هنا بمعنى الشأن .

وعن عبد ا بن رافع لما نزل قوله تعالى (ومن يتوكل على ا فهو حسبه) قال أصحاب النبي A " أي بعضهم " : فنحن إذا توكلنا نرسل ما كان لنا ولا نحفظه فنزلت (إن ا بالغ أمره) أي فيكم وعليكم اه .
وقرأ الجمهور (بالغ) بالتنوين و (أمره) بالنصب . وقرأه حفص عن عاصم (بالغ أمره) بإضافة (بالغ) إلى (أمره) .
(قد جعل ا لكل شيء قدرا [3])